

العهد (صدر الإسلام)... أخنى على الشعر تحوله عن الغاية الشريفة التي خلق لها إلى أمور خاصة كالمدح والتشبيب والفخر والهجو وأمثال هذه الأغراض، في قصائد لا ارتباط بين معانيها، ولا تلاحم بين أجزائها... وربما اجتمع في الواحدة منها ما يجتمع في أحد المتاحف من النفائس. ولكن بلا صلة ولا تسلسل. وناهيك عما في الغزل والثناء وشكوى الدهر... من المواضيع التي لا يضمها موضع إلا تشاتم وتلاكم، وتتاهب ذهن القارئ ذاهبة به كل مذهب بين السماء والأرض. ولولا اختيار الألفاظ وحسن الأسلوب وبدائع الصور التركيبية، وكذلك لولا مؤالفة أذهان العرب لصيغة القريض وتركيبه من هذه القِدَد المتنافرة... لكان مثلنا الآن عند مطالعة الكثير من شعرهم مثل الأجانب، الذين - إذا ترجمت لهم وجردت من تحليتها اللفظية - حارت بها - بصائرهم، وكذبت ظنونهم أبصارهم، لتناقض أسبابها وتناكر وجوهها، ولتساءلوا وهم لا يهتدون إلى حل يصح السكوت عليه: أين الرابطة بين قول الشاعر مثلاً:

أيا لائمي إن كنت وقتَ اللوائمِ علمتَ بما بي بين تلك المَعالمِ
وما يليه من الأبيات الغرامية؟^(١)

وعقد المازني موازنة بين القصيدة العربية والقصيدة الغربية من حيث الوحدة، ثم عاب العربية بالتفكك والتخلف، قال: «قد كان من أول دلائل التجديد في الشعر المصري أن عدل الشعراء عن اعتبار البيت وحدة قائمة بذاتها، وكلاماً تاماً مستقلاً عما عداه... وقد كان من نتائج ذلك أن خلا الشعر العصري من التفكك الذي كان من أظهر عيوب المقلدين. ولولا ذلك لما استطاع الشعر المصري أن يتزحزح عما كان يلزمه إياه جمود المقلدين وعبث المتكلفين. وكيف كان يسع الشعر أن يتقدم أو تدب فيه الحياة لو أنه بقي مجموعة من الأوصال المفككة والأشلاء المبعثرة؟»^(٢)

ولما كان العقاد الناقد الذي افتخر بأنه هو الذي بدأ الحديث عن الوحدة العضوية، ودافع عنها وفسرها إلى أن توطدت في ذهن العربي، فقد أفاض الحديث عنها ورددته في كثير من مقالاته وكتبه، وكثرت العناصر التي التفت إليها واتسع مجالها.

وعرف التفكك بأن تكون القصيدة مجموعة مبددة من أبيات متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير الوزن والقافية. ووصم ذلك بأن ليس الوحدة العضوية الصحيحة، إذ كانت القصائد ذات الأوزان والقوافي المتشابهة أكثر من أن تحصى. فإذا اعتبرنا التشابه في الأعراب والروى

(١) المجلة المصرية - ١٦ يونيو ١٩٠٠ - ص ٤٢. التجديد في شعر خليل مطران ١٤٣. التراث النقدي ٩٨.

(٢) حصاد المشيم ٢٣. صندوق الدنيا ٢٣٠.